

أضواء البيان

@ 179 \$ 1 (سورة لقمان) \$ 1 .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة لقوله : { هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ } ، في أوّل سورة (البقرة) ، في الكلام على قوله تعالى : { الم * ذَلِكِ الْكِتَابُ لَأَرْيَبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } . { وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَمْ يُسْمِعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقُرْءَانٌ مَشْرُوعٌ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } . ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكافر إذا تتلى عليه آيات اللّٰه ، وهي هذا القرآن العظيم : { وَلَمْ يُسْمِعْهَا } ، أي : متكبرًا عن قبولها ، كأنه لم يسمعها { كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقُرْءَانٌ } ، أي : صممًا وثقلًا مانعًا له من سماعها ، ثم أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يبشّره بالعذاب الأليم . .

وقد أوضح جلّ وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { وَيَلُوكُلُ أَفْءَاكُ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوءًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَسَاكَسِيؤُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ، وقد قال تعالى هنا : { كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقُرْءَانٌ } ، على سبيل التشبيه ، وصرّح في غير هذا الموضع أنه جعل في أذنيه الوقر بالفعل في قوله : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا } ، والظاهر أن الوقر المذكور على سبيل التشبيه الوقر الحسّي ؛ لأن الوقر المعنوي يشبه الوقر الحسّي والوقر المجعول على آذانهم بالفعل ، هو الوقر المعنوي المانع من سماع الحقّ فقط ، دون سماع غيره ، والعلم عند اللّٰه تعالى .